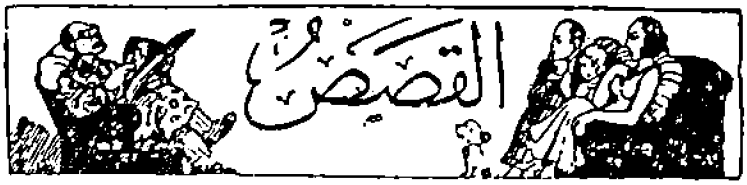

القـــاضي السعيد

للفيلسوف الروسي تولستوي

قام المليك ثملا من الرقص الفاتن على أنغام المزامير يرنو إلى جمال الراقصات الباسم ... ويصغي إلى أحاديث الندامى ترن في مسامعه مرجمة انباء الساحر الرهيب ، ذي القوة الخارقة والسحر العجيب ، وأقاصيص ذلك القاضي السعيد الفياضة بالغرائب ، المملوءة بالأعاجيب !

وأيقظه نسيم السحر المرتعش ، فنادى غلامه وقال : سمعت في العشية من صحبتك أن في أقصى المملكة قاضياً واسع الحيلة ، عظيم الذكاء ، يعرف الكاذب إذا رآه من الصادق ، وله في ذلك نكات حلوة وطرائف طلية ... ولقد هفت نفسي إلى رؤيته فهيئ لي يا غلام جوادي ، وأحضر لي زادي ، وائت لي بلباس لا يعرفني به أحد من رعيتي ، كي أذهب فأرى صدقه من تدجيله

وبعد ساعة .. انطلق الملك يسري .. بين شعف الجبال وأحضانها ، وهو يحث السير ويشده ، حتى إذا ما وصل إلى بلد القاضي — وقد ارتفعت الشمس وقاظ النهار — لقيه رجل قد قطعت ساقاه وتهشم وجهه وجحظت عيناه ، فاقترب منه ، وهو يتكئ على عصوين أسندهما إلى إبطيه .. وأخذ يقبل أقدامه ويطلب إحسانه . فتصدق الملك عليه ؛ وهز حصانه وسار على مهل

وفرح البائس إذ ضحكت له الدنيا ولكنه لحق بالمليك وأمسك بأثوابه لا يدعها ، فغضب الملك وثار وقال له :

— ما شأنك أيها الرجل ، وماذا تريد ؟ طلبت فأعطيناك . وشكوت فرحمناك ..!

قال الرجل بصوت يشيع فيه الحزن واللوعة :

أوصلني يا سيدي إلى ساحة المدينة ، فأنا بائس عاجز وأخاف أن تطأني الجمال بأقدامها إذ تمشي مشيها الوئيد .. أوصلني إليها يا سيدي والله يجزيك أحسن الجزاء

ورق قلب الملك له وأشفق عليه . فحمله بين يديه وأردفه . ثم انطلقا حتى أتيا ساحة المدينة الكبرى . قال الملك آنذاك :

— ها هي ذي ساحة المدينة أيها الرجل ، فاهبط آمنا !

قال الرجل :

— وي ! هذا جزاء من يعطف عليك ويشفق ؟ يا للوقاحة ! ويل لك من العذاب الذي سيصيبك ! هيا . هيا . دع الحصان وامض إلى سبيلك . وإن لم تفعل فخير لك ولي أن نذهب إلى القاضي السعيد فنسأله ، وهناك يظهر الحق ويزهق الباطل !

وشده الملك وعجب من هذا المحتال البائس . ثم ثار وغضب ، وأرغى وأزبد ، والتف حوله أهل المدينة ، فساقوهما إلى القاضي ليحكم بينهما

وأتيا القاضي يجران وراءهما الناس ، وقد جاءوا ليتسمعوا

« ... وتعطف المائة على ذلك العدد نحو أحد ومائة ، واثنان ومائة ، وثلاثة ومائة — أو تعطفه على المائة نحو : مائة وأحد . مائتان وأحد ، ألف واثنان ، في المعلوم معدوده وفي غير المعلوم مائة ورجل ، ألف ورجلان ، مائة وثلاثة رجال

والأول أي عطف الأكثر على الأقل أكثر استعمالا . ألا ترى أن العشرة المركبة مع الثيف معطوفة عليه في التقدير ، فثلاثة عشر في تقدير ثلاثة وعشرة وكذا ثلاثة وعشرون أكثر من عشرين وثلاثة الخ ... »

ومن الأمثلة التي ذكرها صاحب التصريح عند كلامه على العدد قوله : « كانوا تسعمائة وتسعين وتسعا فأهلكتهم . »

وقد انتهت اللجنة إلى جواز الأمرين على السواء . وأقرها مجلس المجمع على ما رأت

إلى حكمه . واستوى القاضي على كرسي مزين بالذهب المتوهج ، وبدأ ينادي المتخاصمين فرداً فرداً

وجيء بعالم أصلع الرأس ، كث اللحية ، حارى الأذنين [1] وإلى جانبه قروي رث الهيئة ، ممزق الأثواب ، على وجهه أمارات الغباوة ، كانا يختصمان على امرأة حسناء على وجهها سحر وطلاوة ... هذا يدعي أنها خليلته ، وذاك يقول إنها حليلته . .

واستغرق القاضي في صمت عميق ... ثم قال :

— دعا حسناءك عندي وتعاليا إلى غدا

وتقدم جزار إلى جانب بدال . وكان الجزار يرتدي ثوباً مليئا دماً ، وكان البدال يرتدي لباساً زين ببقع الزيت الحيرة . قال الجزار :

— لقد اشتريت من هذا الرجل يا مولاي زيتاً ثم عمدت إلى قميصي فأخبأته تحت جيبه [2] . ولكنه هجم علي ، وانتزعه مني ، فجئنا إليك يا مولاي ، أنا أمسك بيدي دراهمي وهو يمسك بتلابيبي لئلا أفر ، ولكن الدراهم لي ، وما هو إلا سارق أثيم !

قال البدال

— كذب ما قاله يا سيدي وبهتان .. لقد جاء إلى ليبتاع من زيتي ، فملأت له وعاءه ، فلما أراد الانصراف طلب مني أن أبدل له قطعة ذهبية بقطع فضية ، فرحت أعطيه الدراهم ... ولكنه فر بها يا مولاي ، فلحقت به .. وأحضرته إليك ..

واستغرق القاضي في صمت عميق . ثم قال :

دعا الدراهم عندي وتعاليا إلى غداً .. !

ونودي الملك والسائل . قال الملك :

— أنا تاجر يا سيدي ، وهذا لقيني وأنا في طرف المدينة فرثيت له وأشفقت عليه ، ثم أعطيته ما يخفف من ألمه ويزيد في فرحه .. فلما انطلقت إلى ما أنا ماض من أجله ، لحق بي وطلب أن أوصله الساحة الكبرى . فأردفته . فلما كنا في الساحة الكبرى ، طلبت إليه أن يتركني فأبى ، وقال هذا حصاني جئت تنتزعه مني . فالتف حولنا الناس وساقونا إليك . هذه قصتي يا مولاي فاحكم بما تريد ! ...

قال السائل :

— يا للكذب يا مولاي ! إنه كذب وافتراء ، فما أنا إلا صادق أمين ... كنت أجتاز المدينة ومعي الحصان فرأيته في بعض الطريق ... فطلب مني أن أوصله الساحة الكبرى فقد أنهكه السير الطويل . فلما أتيت به الساحة قال هذا حصاني ... فاحكم يا مولاي أيدك الله وأطال بقاءك !

وفكر القاضي وقدر ... ثم قال :

— سأعرف الكاذب من الصادق ... دعا الحصان لدي ، وارجعا إلى غداً

وتفرق الناس ، ومضى كل إلى سبيله ، وذهب الملك يفكر في هذا القاضي الذي سماه الناس « بالسعيد »

٥٥٥

أقبل الليل ، فجلس الملك يفكر في أمر ذلك البائس المسكين ويتذكره ، فملأ صوته المضطرب سمعه وفؤاده ، وهو يتساءل عن جزائه وكيف يكون . فلما أضناه التفكير أسلم نفسه للكرى . فنام نوماً عميقاً ، رأى فيه من الأطياف مالا يحصر ، ومن الأشباح المرعبة مالا يحد ، وضحك النهار فاستيقظ الملك ... وأخذ يرتدي أثوابه ، ثم مضى إلى المدينة ليطوف في أسواقها فلما أجاز ساحة الحي وجد غريمه يتدحرج نحو دار القاضي

وكان الناس يأتون زرافات زرافات ، فقد أعجبوا بالقاضي فمدت نفوسهم في شوق ملح لكل ما يقول . وجاء المتخاصمون فتقدم العالم والقروي . فنظر القاضي إليهما وقال :

— أيها العالم ! إنها زوجتك فخذها وامض بها إلى دارك ...

---

(١) حارى الأذنين أي أن أذنيه كأذني الحمار . ويقال أيضا قيل الأذنين . ذكر المعري في رسالة الغفران ص ٤٢ ما يلي : « وكان ببغداد رجل كبير الرأس قيل الأذنين ، اسمه فاذوه ... الخ » وقد قدمنا الأولى على الثانية

(٢) جيب القميص طوقه : أي صدره : وهذا المعنى هو خلاف ما هو شائع من معنى هذه الكلمة

أما أنت أيها القروى ، فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! ...

وانصرف العالم وزوجته، وأخذ القروى ليجلد

وجىء بالجزار وبائع الزيت ، فقال القاضى :

— أيها الجزار ! ها هى ذى دراهمك فخذها . أما أنت ... فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! ...

وأخذ الجزار دراهمه . ومضوا بالبدال ليجلدوه

وتقدم الملك والسائل . فقال القاضى للملك المتفكر :

هل تعرف حصانك جيدا ؟

— نعم يا مولاى !

— وأنت أيها السائل ؟

— وأنا أيضا يا سيدى !

— انبئانى إذن ...

وانطلق القاضى بهما إلى الاصطبل وقد امتلأ بالجياد . فقال للملك : دانى على حصانك ... فدله الملك ، ثم أخرجه وأدخل السائل ... فدله عليه أيضا ، فلما خرج القاضى قال : خذ حصانك أيها التاجر فهو لك ، أما أنت فستجلد خمسين جلدة فى الساحة الكبرى

وهم القاضى بالانصراف ... فتبعه الملك وقال له:

ـ أريد يا مولاى أن أعلم كيف استطعت أن تعرف أن المرأة كانت للعالم ، وأن الدراهم كانت للجزار ... وأن الحصان كان لى فقد حار عقلى فى فهم ذلك ... !

قال القاضى :

— أما المرأة ، فقد أتيت بها إلى دارى ، وقلت لها ضعى فى هذه الحبرة مداداً . فأخذت الدواة فنظفتها ، ثم ملأتها مداداً . فعلمت أنها تعلم ذلك من قبل ، والدواة لا توجد إلا عند العالم . فحكمت أنها امرأة العالم وليست خليلة القروى . أما الدراهم فقد وضعتها فى إناء ملىء بالماء ، وقلت لنفسى ، إن كانت لبائع الزيت فلا بد أن تطفو على صفحة الماء قطرات من الزيت جاءت إليها من يديه . ولكن الماء بقى صافياً ، فعلمت أن الدراهم ليست لبائع الزيت وإنما هى للجزار

وصمت القاضى قليلا ، فلما طال صمته قال الملك :

— والحصان يا سيدى ؟

قال القاضى :

لقد قلبت الأمر بين يدى فلم أجد حيلة أنفع من أن تدلانى على الحصان ؛ فعرفته أنت كما عرفه السائل ، ولكنى رأيت الحصان أدار وجهه نحوك ، ورفع أذنيه عند ما دنوت منه . فلما جاء السائل أرخى أذنيه ورفع إحدى رجليه يريد ركضه ، فعلمت أن الحصان لك

فابتسم الملك ضاحكا ، ثم تقدم من القاضى فقال له :

أيها القاضى ! نعم العدل بك عيناً ، لست بتاجر ، ولكنى الملك !

ودهش القاضى وارتجف رهبة ثم انحنى وقال :

— عفوا يا مولاى ... أنا عبدك

— قم أيها القاضى وسل ...

— إن ثناءك على لمكافأة لى يا مولاى ، وانحنى ليقبل قدميه

— قم ... قم أيها القاضى السعيد ... فلقد صدقت بك ... وآمنت ... لقد صدقت وآمنت ... ومنذ الغد ستكون لى وزيراً !

ص م

لجنة النشر للجامعيين تقدم

فى ثوب أنيق وطباعة ممتازة

ديوانا من شعر الأداء النفسى

وحدى مع الايام

للشاعرة البدعة

الآنسة فدوى طوقان

يطلب من مكتبة مصر بالفجالة ومن جميع المكتبات الشهيرة

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة

للمجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته ثمانمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

النشر في محطات المصلحة ومطبوعاتها

أنشروا اعلاناتكم بأسعار غاية في الاعتدال في محطات السكك الحديدية حيث أعدت بها أظهر الأماكن وأحسنها لعرض الأعلانات

وكذلك المطبوعات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزعها داخل القطر وخارجه

ولزيادة الاستعلام خابروا :--

قلم النشر والإعلان بالإدارة العامة

بمحطة مصر

مطبعة الرسالة